الفصل الثاني: خطوات وأدوات البحث العلمي

إن إنجاز بحث علمي موثوق يستدعي اتباع خطوات متتالية ومرتبة ترتيبا منطقيا متسلسلا، واستخدام أدوات بحثية، تمكن الباحث من الوصول إلى نتائج مرضية. إذ يتعين على الباحث أن يعرف هذه الخطوات، ويتدرب على تنفيذها واتقانها، بهدف تنظيم الجهد بأفضل الامكانيات واستخدام أفضل وأحدث الوسائل.

لذا ارتأيت التطرق لتحديد ماهية البحث العلمي في مبحث أول، ثم الحديث في مبحث ثاني عن خطوات البحث العلمي، على أن أخصص المبحث الثالث لأدوات البحث العلمي.

المبحث الأول: تحديد ماهية البحث العلمي

كما مر معنا يتميز البحث العلمي بمجموعة من الخصائص، تجعل منه بحثا منظما ودقيقا وهادفا، من خلال اتباع أدوات بحث معينة ووفق خطوات بحث معينة، من أجل كشف عن الحقيقة العلمية بشأن المشكلة محل الدراسة والتحليل.

ومن هنا سأحاول تعريف البحث العلمي في مطلب أول، على أن أتطرق لخصائص البحث العلمي في مطلب ثاني.

المطلب الأول: تعريف البحث العلمي

يقصد بالبحث لغة التفتيش والتقصي لحقيقة من الحقائق. واصطلاحا يتخذ البحث العلمي تعاريف عديدة.

البحث العلمي هو التقصي المنظم باتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها وإضافة الجديد لها.

- البحث العلمي هو وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق خطوات منهج البحث العلمي واختيار الطريق للبحث وجمع البيانات.

- البحث العلمي هو الدراسة الموضوعية التي يقوم بها الباحث في أحد الاختصاصات الطبيعية أو الإنسانية، التي تهدف إلى معرفة واقعية ومعلومات تفصيلية عن مشكلة معينة يعاني منها المجتمع والإنسان سواء كانت هذه المشكلة تتعلق بالجانب المادي أو الجانب الحضاري للمجتمع. والدراسة الموضوعية للجوانب الطبيعية أو الاجتماعية قد تكون دراسة مختبرية أو تجريبية أو دراسة إجرائية أو دراسة ميدانية إحصائية أو دراسة مكتسبة، تعتمد على المصادر والكتب والمجلات العلمية التي يستعملها الباحث في جميع الحقائق والمعلومات عن المشكلة المزمع دراستها ووصفها وتحليلها.

يتضح مما سبق، أن الهدف من البحث العلمي هو التحري والتقصي عن حقيقة الأشياء ومكوناتها وأبعادها ومساعدة الأفراد والمؤسسات على معرفة محتوى ومضمون الظواهر التي تمثل أهمية لديهم أو لديها، ومما يساعدهم على حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأكثر إلحاحا، عن طريق استخدام الأساليب العلمية والمنطقية.

المطلب الثاني: خصائص البحث العلمي

انطلاقا من التعاريف المشار إليها أعلاه، يستشف أن البحث العلمي يتميز بمجموعة من السمات من بينها:

ـ البحث العلمي بحث موضوعي، بمعنى معالجة الظواهر كأشياء لها وجود خارجي ومستقل عن وجود الإنسان، والشيء الموضوعي هو ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد أو المشاهدين مهما اختلفت الزوايا التي يشاهدون منها، ويعني التزام الموضوعية بالبحث العلمي أو أنه لو قام باحثان أو أكثر بإجراء نفس الخطوات البحث العلمي على ظاهرة ما، ستكون النتيجة المتوصل إليها واحدة، ولكم من المعروف أن التزام الموضوعية خصوصا في البحث الاجتماعي أمرا ليس يسيرا[1].

ـ البحث العلمي بحث تفسيري، لأنه يهتم بتفسير الظواهر والأشياء بواسطة مجموعة متسلسلة ومترابطة من المفاهيم تدعى النظريات.

[1]ـ احميدوش مدني، م س، ص: 29 و30 .

ـ البحث العلمي يتميز بالعمومية في دراسة وتحليل الظواهر، معتمدا على العينات.

ـ البحث العلمي بحث منظم ودقيق ومضبوط، نظرا لكونه يعتمد على منهجية محددة، وخطوات مضبوطة. وكذا استعمال مصطلحات ومفاهيم ومعلومات دقيقة، أو بعبارة أخرى استعمال لغة الرياضيات في البحث من أرقام وإحصائيات وجداول، أي أن الباحث يتحقق في أبحاثه من مختلف الأشياء التي يراها ويلاحظها، أهي مطابقة للواقع أم لا، وتتميز الملاحظة العلمية بالتحديد والدقة، كما أن الباحث يستبعد في بحثه كل الأفكار المسبقة والمعلومات غير الصحيحة أو غير المبرهن عليها التي قد تقود الباحث إلى متاهات وأخطاء علمية[2].

المطلب الثالث: أنواع البحث العلمي

تتعدد وتختلف البحوث العلمية باختلاف معايير تصنيفها، فقد تصنف حسب طبيعة الموضوع إلى بحوث اجتماعية قانونية، تاريخية، وجغرافية... كما قد تصنف حسب النتيجة المتحصل عليها في البحث وعلى أساس كيفية معالجة الموضوع، هل الأمر يتعلق بمعالجة تفسيرية، تأصيلية، ومن ثم نكون أمام بحوث تفسيرية نقدية، أو استطلاعية أو وصفية وتشخيصية، أو بحوث تجريبية.

واتجاه آخر اعتمد تقسيم آخر ينطلق من طبيعة البحث ودوافع اختياره، إلى بحوث نظرية وبحوث تطبيقية.

[2]ـ احميدوش مدني، م س، ص: 26 و27 .

المبحث الثاني: أدوات وخطوات البحث العلمي

كما مر معنا، البحث العلمي بحث منظم وهادف، له خطوات محددة ومضبوطة، يلتزم بها الباحث في بحثه، من خلال وضع الخطة الاستراتيجية التي تساعده على تشكيل المراحل الأساسية لبحثه، حيث يعمل الباحث على التحقق من المعلومات ونوع الأدوات اللازمة لجمع هذه المعلومات، وكذا كيفية التحليل والتصرف. ومن أهم الخطوات التي تميز البحوث الاجتماعية والقانونية.

المطلب الأول: خطوات البحث العلمي

إن جودة البحث العلمي تقاس بمدى احترام الباحث لمعايير إنجاز البحث، ومدى احترامه للخطوات المحددة سلفا، إذ تشكل خارطة الطريق للوصول إلى دراسة الظاهرة دراسة علمية، تتوفر فيها شروط البحث العلمي. بدء من تحديد الموضوع، مرورا بالتأصيل الموضوعي لمفاهيمه، ثم تحديد أهمية الدراسة وإشكالية البحث، وكذا وضع فروض للبحث.

وانتهاء باقتراحات وتوصيات تجيب عن إشكاليات البحث.

الفقرة الأولى: تحديد موضوع البحث

تعتبر خطوة أساسية يعمل الباحث على اختيار المجال المعرفي الذي سيبحث فيه، ويشكل له أرضية لإثارة الإشكالية ووضع فرضيات البحث من أجل محاولة التحقق منها والإجابة عنها. وتحديد موضوع البحث يجب أن يكون نابعا من رغبة الباحث بالمجال

موضوع الدراسة. وهذا ما نتلمسه من خلال تصفح البحوث التي يجريها المهتمون أو طلبة الجامعات على جميع مستوياتهم وتخصصاتهم. حيث يعمد الباحث إلى طرح العديد من التساؤلات والاشكاليات، التي لا تخلو من صعوبات موضوعية.

إن تحديد الموضوع يبنى من خلال المجال المفكر فيه من طرف الباحث، وذلك من منطلق أن هذا الأخير يمارس نوعا من القهر الفكري على الباحث للوصول لحقيقة الموضوع المراد البحث فيه، دون أحكام جاهزة أو أفكار مسبقة.

فجودة البحث العلمي تقاس بمدى توفق الباحث في تحديد إشكالية البحث بدقة، لأنها تعبير عن انشغال فكري للباحث بحالة أو ظاهرة ما، التي تدفعه إلى طرح تساؤل ات حول موضوع ما.

فمثلا ظاهرة الإجهاض، موضوع يطرح إشكالية معينة، تتمحور حول كيفية وجود حل للظاهرة، مما يقتضي طرح مجموعة من التساؤلات حول أسبابها وكيف يمكن إيجاد طرق ووسائل لحلها.

وفي الغالب ما تحمل الاشكالية في طياته نوع من التعقيد، تحتاج إلى مجهود معرفي للوصول إلى الحل، تحتاج إلى خطوات وأدوات من أجل تفسيرها.

ومصدر الإشكالية هو شعور نابع من الذات بوجود صعوبة، مما يدفع الباحث إلى بذل مجهود فكري وعقلي لإيجاد حل للظاهرة.

وتحديد الاشكالية تؤطره ثلاث أبعاد:

ـ البعد الحسي العقلي بوجود مشكلة.

ـ البعد الشخصي من خلال ما يظهره الباحث من رغبة وميول نفسية وشخصية، تدفعه لتحديد إشكالية موضوعه.

ـ بعد ثقافي من خلال الاطلاع على المراجع والمصادر التي لها علاقة بإشكالية الموضوع.

ـ إن تكوين الإشكالية في ذهن الباحث تستدعي الأخذ بما يلي:

ـ صياغتها صياغة جيدة، تتوخى الدقة والوضوح حتى تكون انطلاقة البحث انطلاقة سليمة.

ـ اختيار المفاهيم المفاتيح للمشكلة، مما يساعد الباحث على التحديد الجيد للموضوع وفهم الغاية من البحث.

وكل هذا سيساهم لا محالة في طرح إشكالية البحث بشكل دقيق، واختيار المفاهيم المناسبة، التي تمكن الباحث من الوصول إلى الأهداف التي رسمها لبحثه.

الفقرة الثانية: التأصيل المفاهيمي للموضوع

يتعين على الباحث تحديد المفاهيم الأساسية، التي تساعده على التحليل والبرهنة والتفسير، من أجل التحكم في موضوعه، ويتبين للمتتبع الهدف من الدراسة.

فعدم وضوح المفاهيم يشكل عائقا أمام الباحث، ويخلق ارتباكا لدى القارئ، لكون المفهوم قد يتخذ معاني متعددة، فقد يكون للمفهوم وظيفة بنائية ووظيفية. لذا يجب على الباحثين أن يحددوا المفاهيم الواردة في بحوثهم.

كما يجب على الباحث أن يقتصر فقط على تحديد المفهوم الوارد في عنوان البحث، بل يتعين التعريف بالمفاهيم الأساسية في البحث.

أضف إلى هذا لا يجب نقل التعريف من كتب غير متخصصة، بل يتعين إيراد التعاريف من المراجع الأصلية، وهذا يتطلب من الباحث بدل مجهود معرفي وبدني من أجل الحصول على هذه المراجع.

الفقرة الثالثة: أهمية الدراسة

تحظى هذه المرحلة بأهمية خاصة، من خلالها يحدد الباحث أهمية الموضوع، التي قد تكون له مجموعة من الأهميات، وقد تكون ذاتية أو موضوعية. حيث نجد الموضوع له أهمية علمية، اجتماعية اقتصادية وتاريخية. ويمكن أن يذكر الباحث مثلا:

ـ الفائدة التطبيقية المرجوة من البحث، ومن سيستفيد منه وكيفية الاستفادة، وما مدى تقديمه لأجوبة لمشاكل مطروحة في الواقع.

ـ الفائدة العلمية، وتتمثل في بيان الجوانب التي يتميز بها هذا البحث عن الدراسات السابقة، أو بعبارة أخرى الاضافات الجديدة التي يمكن أن يقدمها البحث، ومن ثم تفادي البحوث المستهلكة التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

ـ كشف القناع عن بعض التفسيرات الخاطئة.

ـ حل بعض المشكلات العلمية.

الفقرة الرابعة: أسباب اختيار البحث

يحدد الباحث هنا الدوافع التي أدت به لاختيار الموضوع، ولكن من دون اسهاب وتوسع، فيوضح مثلا دوافعه الشخصية التي جعلته يهتم بهذا الموضوع ويختاره، ومن الممكن أن يشير إلى ما يتوفر لديه من القدرات أو الامكانات الخاصة التي تجعله أهلا للقيام بالبحث المقترح (كأن يكون البحث يتعلق بوسائل الاثبات الجنائي والباحث يعمل قاضيا، أو الأمر يتعلق بظاهرة الاكتظاظ في السجون والباحث يشتغل في السجن، ونحو ذلك)، ومن المنطقي أن يذكر في أسباب الاختيار أن الموضوع جديد لم يسبق إليه أحد من حيث العموم أو من حيث بعض الجوانب، إذا كان الموضوع كذلك.